مركز الأهرام للتنظيم وتكنولوجيا المعلومات

المصدر: الاهـــــرام

التاريخ : ١٩٧٩/٨/١٠

□ حــول لقــاء الرئيس بمجلس اتحــاد الكتاب

الســـادات بين الســــلام الــدائم وعصــــفور من الشـــرق

في البدء كانت الكلمة ، وفي النهاية تكون ، والكلمة حق ، والكلمة نور ، والكلمة سيف العقل المشرع في وجه ظلام الطغيان وظلم الشر ، وهي شعلة ضوء تهدى الناس الى الحق ، ولهذا اختار الله الكلمة رسولا منه الى البشر نورا لهدايتهم وظليرالملهم يعلمون ، والادب . ناطـق الكلمة وكاتبها : ضمير امته ، يتالم بالامها ويستبشر خيرها وينير لهـاطريق النضال الى السلام والعدل . وهو لهذا يسمى مصلح المصلح عن طريق كلمته يخطو المصلح اول الطريق الى هداية وقيادة امته »

وفي حديث الرئيس محمد انور السادات في اجتماعه باعضاء مجلس ادارة اتحاد الكتاب كان ذلك واضحا في نقطتين رئيسيتين أولاهما أعتزاز الرئيس وسعادته باختياره عضوا باتحاد الكتاب ، وقال الرئيس في ذلك «

« في مثل من يعيش هذه المسئوليات تاتى لحة او لفتة كهذه التي اخترتوني فيها عضوا من اتحاد الكتاب ، وكما قلت انه شرف بالنسبة لى لا يدانيه اى شرف .. حقيقة – لايماني بقدسية القلم ، والكلمة هي مفتاح كل الحق .. كل خير .. كل قيم » .

وقال « ان هذه النخبة الممتازة من حملة القلم وعلى رأسها استاذى توفيق الحكيم تجعلني في هذه اللحظة وفيما سيأتي من عمرى من لحظات حتى اقابل ربى .. ستجعلني فخورا سعيدا » وايضا قال سيادة الرئيس « فمهما كان نجاحي في السياسة فلن يكون اعتزازي به اطلاقا عشر معشار نجاحي بان اخترتم وانتم النخبة التي تحمل مسئولية القلم ومسئولية الكلمة»

ويتضح هنا مدى اعتزاز الرئيس وسعادته بكونه في الاساس والبداية كاتبا صاحب كلمة قبل أن يكـــون زعيما وقائدا صاحب قرار «

والامر الثاني ، والذى جاء في حديث الرئيس ايضا ، مدى تأثره برواية « عصفور من الشرق » ، وكيف أوحت اليه هذه الرواية بالاســـاس الفكرى الذى استمسك به ، وهو في اشد حالات القلق والصراع وهذا يثبت ان الكلمة التي يصنعها الاديب الروائي لها كل هذا التأثير والاهمية «

ولان الاديب الروائي المبدع : هو في الاساس مفكر اجتماعي يعى دوره في حياة امته ، انه لايصنع الثورة ، انمـــا يؤثر في صــــانعى الثورة ، انه البداية دائما في كل حركات الاصلاح ، وقد قال الحكيم في ذلك « القوة الحقيقية للقلم هي أن يستطيع ان يقول مايريد وقتما يريد ان يقول »! وهو يستطيع ان يقوله خلال عمله الادبي الابداعي موحيا به ، تلتقطه بسرعة الـــروح الابيـــة التي لاتقبـــل الضيم بطبيعتها ، والميالة بفطرتهـــا الى الحرية ، وكانت الكلمة مـــن توفيق الحكيم في « عصـــفور من الشرق » وكان صاحب الروح الابية الضابط محمد انور السادات الــذى صحب معه وهو مبعد عن العمران مطرودا الى الصحراء ، صحب معه

كتاب « عصفور من الشرق » وترجمته الفرنسية ؛ ويقرأ الضابط محمد انور السادات فى الصفحة الثانية او الثالثة كما يقول فى حديثه ما جاء مسطورا تحت تمثال اديب فرنسى «هو الاديب دى موسيه » « لاشىء يجعلنا عظماء غير الم عظيم » ثم يقرأ « ثم اتطلع الى وجه الشاعر ، فألفى قطرات المطر تتساقط من عينيه كالعبرات ، فتحرك قلبه ، وسكت فمه! ... ثم همس مرددا كالمخاطب لنفسه!

– لاشىء يجعلنا عظماء غير الم عظيم ... نعم !!

ومرت فى رأس الفتى صور من ماض بعيد » اى الفتيه نقصد هنا ؟ هل « محسن » توفيق الحكيم ؟ أم الضابط المبعد عن المدن لاشتغاله بأمور بلاده محمد انور السادات كلاهما كانا فى سن واحدة ، محسن اقصد الحكيم فى لحظة رؤيته للتمثال ، والسادات فى لحظة قراءة « عصفور من الشرق »، واى ماض بعيد فكر كل منهما فيه ؟ هل ماض شخصى ؟ أو ماض يخص امه تعانى الظلم .

لقد ظل الحكيم تؤرقه مشكلة عودة الروح الى الهيكل القديم ، يكتبها فى اهل الكهف ، ويكتبها فى شهر زاد ، ويكتبها صراحة فى عودة الروح ؛ ويظل يكتبها فى عودة الوعى ، بل ينطقها صراحة فى «نداء الحياد » ، لقد ظل الحكيم حياته كلها وهو مشغول بقضية فى غاية الخطورة، يقولها مرة فى مواربة ومرة فى صراحة النداء ، وهى أن مصر وروح « مصر » تختلف عن بقية الامم ،لقد عقد فى كتابه « تحت شمس الفكر » الكثير من المقارنات بين الثقافة المصرية والعربية والغربية والهندية .. كان الحكيم يؤمن بأن مصر هيكل بذاته ، صرح شيده الله على أرضه ، ولكن اهله اغفوا وطالت غفوتهم .. وهم فى حاجة الى ان يستيقظوا ، فقط ، يهبوا من نومهم ، فاذا هم وقد ملكوا زمام الحضارة من جديد ، وزاولوا عملهم فى صنع مجد جديد للانسانية وللخير وللسلام وللحب ... وللحضارة ..

ونفس القضية ، كانت تشغل فكر السادات ، لم تكن تشغله فكرة زعامة نابليونية او مقدونية ، انما كانت تشغله فكرة « اعادة الروح الى الانسان المصرى »، ولم تكن كل اعماله منذ ان بدأ نضاله السياسى وحتى هذه اللحظة الا تحقيقا لهذا الهدف .

ولهذا التقى فكر توفيق الحكيم بفكر الضابط الشاب المناضل محمد أنور السادات وكانت « عصفور من الشرق» هى الواسطة بينهما ، كلاهما اعجبه ما قاله الخيام « اذا اردت ان تسلك سبيل السلام الدائم فابتسم للقدر اذا بطش بك ولاتبطش بأحد » ..

ورواية عصفور من الشرق نشرها الحكيم لاول مرة عام ١٩٣٧ صدرت عن المطبعة النموذجية ثم ترجمت الى الفرنسية حيث راجعها الحكيم بنفسه ، ثم صدرت بعد ذلك عدة طبعات ، وترجمت الى العديد من اللغات والرواية من حيث المعمار الفنى للرواية لاتعتبر نموذجية، يعتبرها الكثيرون من نقاد الادب فى العالم، وان اختلف معهم ايضا كثيرون، حيث ان الرواية تذهب نحو السيرة الذاتية فهى تتحدث عن فتى «محسن» وهو فى الحقيقة توفيق الحكيم ،سافر الى باريس ليحصل على درجة علمية

فى القانون ، ولكنه يترك القانون ويهيم فى باريس بحثا عن الحب والفن والادب ، يقارن بين الحضارات ويتحدث فى الفن وتشغله الموسيقى والاوبرا والفلسفة عن دراسته ، وفيها يصف توفيق الحكيم الحياة فى باريس عام ١٩٢٥ ، وبالطبع يعقد مقارنة بين فرنسا ومصر ، بين الحضارة المصرية والحضارات الاخرى ، ان محسن المشغول بحب بائعة التذاكر فى المسرح « سوزى » ، عقله مشغول بحبها وفؤاده مشغول بحبها ، ولكنه لايفعل شيئا سوى التفكير فى هذا الحب ، وسوزى مجرد فتاة باريسية جميلة ، تسعى الى الزواج من شاب فرنسى ، تنظر الى ذلك الفتى الاسمر القادم من الشرق على انه شيء بديع فقط ولكن قلبها ملك لفتاها الباريسى المتهور ، ويظل محسن فى طراد عقلى خلف حب سوزى الا ان يوقن انها تحب غيره ، ويؤمن اخيرا بقول شاعر يابانى « انما يبنى الشاعر سعادته على الرمال ، ويسطر اشعاره فوق ماء الجدول الجارى ! » (•)

والرواية على هذا الشكل مجرد رواية اعتراف بحب فاشل بين المحسن الشرقى و « سوزى » الباريسية ، ولكن اذا اكتفينا بهذا القول ، فاننا به نظلم هذا العمل الادبى ، لانعطيه حقه لان الكاتب قد استخدم هذه « الحدوتة » مجرد اطار خارجى مشوق لعمل اكثر اصالة واكثر عمقا ، يتميز به هذا الكتاب دون كتب توفيق الحكيم جميعها ، فالحكيم كان همه الاول ان يعقد مقارنة بين الشرق والغرب ، وتحديدا بين « مصر » والعالم ، مقارنة صادقة لايشوهها تعصب قومى ، ولا يخدشها حياء قومى ايضا ، فهو قد تخلص من التعصب بأن جعل محسن يعشق سوزى ويهيم بها ، ويصادق فى رد خالص اندريه الفرنسى ، ويسعى الى عقد صداقة مع الروسى « ايفان » وكانت ثورة روسيا مازالت فى أولها ، وقد تخلص ايضا من الحياء القومى ، او الخوف من التعصب بأن جاهر بقوله حول الفن والفلسفة المصرية القديمة (•)

لهذا فان الكتاب ترجع عظمته الى انه تصدى لمناقشة ذات اهمية قصوى وهى ليست كما توهم بعض النقاد التشيع للغرب ، او للشرق ، انما هى متى يعود المصفور الى التحليق فى سماء الهيكل المصرى ، متى يعود للمصفور صوته الحبيس ؟ لقد كان الحكيم مدفوعا الى دراسة القانون تحت رغبة ارضاء أبيه ، مدفوعا الى السفر او النفى الى باريس « مركز نبض الحضارة الغربية » ويعيبه انه يهوى الاشتغال بالادب ، وكان السادات مدفوعا الى العمل فى الصحراء بعيدا عن المدن منفيا الى اقاصى الحضارة المصرية ، يعيبه الاشتغال بمستقبل وطنه ، والتقيا معا ، وها نحن وقد رأينا للحكيم علما من اعلام الادب العالمى ، حيث توج فى العام الماضى بجائزة احسن مفكر فى حوض البحر الابيض وكرم هذا العام بقلادة النيل ، والسادات وقد توجه العالم بجائزة نوبل للسلام ، وتوجته مصر فوضعته على جبينها قائدا منتصرا ورسولا للسلام العالمى ▫